

الإصلاح ضرورة لتماسك المجتمع



قال تعالى: (إِنَّ زَمَّامَ الْوَعْدِ وَمَنْ عُنِيَ بِهِ لَمَمَّ الْوَعْدِ فَأَعْوَبْنا عَلَيْهِمْ وَأَلَمُوا بِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْأَنْبَاءُ بَلَدَهُمْ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَعْصَبَنَّ كَأَنَّهُمْ تُرْبَةٌ كَامِيَةٌ) (الحجرات/ 10). إنَّ العمل على تحقيق الأخوة والتواصل والاجتماع وإصلاح ذات البين من أوجب الواجبات الإلهية ضرورة أنَّهُ لا يمكن بناء مجتمع متماسك يسير في خدمة الأهداف العُليا للإسلام ما لم يكن هذا التكليف قائماً ومعمولاً به لدى المسلمين حيث في المقابل يكون التشتت والتفرُّق وتحكم روح العداوة عاملاً هدمياً لا تستقيم معه مسيرة أهل الإيمان، وهو سبب في فشل وسقوط كثير من القضايا الهامّة على مرّ العصور ولا يزال، فالمطلوب أن تسود روح الجماعة والوفاق في إعزاز المصالح العامّة، لا روح الفرد والشقاق في خدمة المصالح الخاصّة بما تحكّمها من أهواء ورغبات يقول عزّ من قائل: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (آل عمران/ 104).

إنَّ إغاثة الآخرين ومؤازرتهم في مواطن الشدائد ونزول المصائب أمر أولاه الإسلام اهتماماً كبيراً وهو من أعظم الشيم سواء في الترابط والتزاور أو في تقديم المساعدات المالية أو البدنية أو المعنوية أو سائر أشكال التعاضد والتكافل سيّما الفقراء والأيتام والمساكين. قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا

عَلَى الْبِرِّ وَالْتِقَؤَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (المائدة / 2).
 ويعتبر السعي في قضاء حوائج الناس من أعظم القُرَبات الإلهية التي أُعدَّ عليها الثواب الجزيل فوق ما يتصوره الإنسان ويتوقعه حيث جاء عن مولانا الإمام الباقر (عليه السلام): «مَنْ مشى في حاجة أخيه المُسلم أطله بِ بِخمسة وسبعين ألف ملك ولم يرفع قدماً إِلَّا وَكتبَ بِ بها حسنة، وخط عنه بها سيئة ورفع له بها درجة، فإذا فرغ من حاجته كتبَ بِ له عزٌّ وِجلٌّ بها أجر حاج ومعتمر». وفي الحديث أيضاً: «إنَّ عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة».

إنَّ التواضع بحدِّ ذاته فضيلة من الفضائل الإسلامية وهو مصدر قوَّة للإنسان وليس ضعفاً ووهناً وبه الأمر في الكتاب الكريم: «وَإِذَا خِفَضُوا لِجَنَابِكَ لِئَآءَ لِيَمْخُذُوا مِنَ الْعُنُوتِ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ (الشعراء / 215)، وقد أشاد أهل البيت (عليهم السلام) بشرف هذا الخلق واعتبروه من خصال المؤمن وسبباً في رفعته كما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنَّ في السماء مَلَكِينَ موكلين بالعباد، فمن تواضع بِ رفعا، ومَنْ تكبَّر وضعاه»، والذي يرتبط بمقامنا هو دور التواضع في عملية الإصلاح والعلاقة مع الآخرين. وهناك جوانب أساسية في معايشة الناس أكَّد عليها القرآن الكريم وما هي إِلَّا مصاديق ومفردات للتواضع الذي هو ركيزة النجاح في المعاملة معهم أو إصلاح أُمورهم أو مدِّ يد العون لهم كما في سورة لقمان: (وَلَا تُصَعِّرْ رَوْعَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَأَلْبَسُكَ لِيُكِبَّ كُلًّا مُخْتَالًا فَخُورًا) (لقمان / 18)، (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان / 19).